خطبة بعنوان:

فوائد وعبر من قصة الثلاثة النفر

✍ لأبي عبدالرحمن موفق الفاضلي العودي حفظه الله

الخطبة الاولى

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}[آل عمران:102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[النساء:1]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ

فَوْزًا عَظِيمًا }[الأحزاب:70-71]

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

أجارنا الله وإياكم من البدع والمحدثات ومن النار.

عباد الله: إن أصدق القصص وأحسنها وأكثرها عبرة وأنفعها موعظة لهي قصص القرآن والسنة وأما غيرها من القصص فقد يدخلها التحريف والضعف والكذب والزيادة والنقصان ولهذا لا يعتمد عليها فقد حذر السلف من الأخذ عن القصاصين الذين يكثرون من القصص التي لا زمام لها ولا مستند وحثوا على قصص القرآن والسنة قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأ َلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُون}[يوسف:111]

وفي هذا اليوم نستعرض قصة ثلاثة نفر لنستفيد مما جاء فيها من المواعظ والعبر , هذه القصة قصها علينا الذي لا ينطق عن الهوى محمد المجتبى صلى الله عليه وسلم وإنما أخذها بوحي من السماء بواسطة شديد القوى جبريل عليه السلام.

فالرجل الأول بارٌ بوالديه, والثاني رجل عفيف يخاف الله, و

الثالث رجل أمين يحفظ حقوق الناس ,فنزلت بهم ملمة ففرج الله عليهم كما سيأتي بيان ذلك عند ذكر الحديث.

روى البخاري ومسلم في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّه ُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " انْطَلَقَ ثَلا َثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوْا المَبِيتَ إِلَى غَارٍ ، فَدَخَلُوهُ)وفي رواية عند النسائي: (أصابهم مطر فأووا إلى غار). فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لا َ يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ)، وفي رواية عند النسائي:(فقال بعضهم لبعض : إنا و الله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه). وفي رواية عند ابن حبان: (فادعوا الله بأوثق أعمالكم). فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لا َ أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا، وَلا َ مَالًا فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا، (وفي رواية لمسلم : طلب الشجر) فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا، فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أُغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ، أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الفَجْرُ، وزاد النسائي: (والصبية يتضاغون عند قدمي). فَاسْتَيْقَظَا، فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لا َ يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ "، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه ُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ كانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ، كانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى

أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي، فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، "وفي رواية": فلما قعدت بين رجليها. قَالَتْ: لا ‌ ‌ أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ،وفي رواية قالت :(اتّقِ اللّهَ ، وَلا ‌ ‌ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلا ‌ ‌ بِحَقِّهِ) فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وفي رواية: كنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء. وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلك ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لا ‌ ‌ يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ مِنْهَا "، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ ‌ ‌ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ، فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَ ‌ ‌ مْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الإِ ‌ ‌ بِلِ وَالبَقَرِ وَالغَنَمِ وَالرَّقِيقِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لا ‌ ‌ تَسْتَهْزِئُ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لا ‌ ‌ أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ، فَاسْتَاقَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ".

خلاصة المعنى الإجمالي للحديث أن هؤلاء الثلاثة النفر عملوا أعمالا صالحة خالصة فيما يظهر من الحديث,هذه الأعمال أهلتهم إلى أن يتوسلوا بها إلى الله بأن يفرج عنهم تلك الكربة التي نزلت بهم, ففرج الله عنهم.

فالأول كان بارًا بوالديه فكان لا يقدم عليهما أحدا من الأولاد و الرقيق وذات يوم بَعُد به طلب الرعي فتأخر عنهما ولم يأتِ إلا وقد ناما وكان يحلب لهما حليبا كل ليلة وفي تلك الليلة أخذ القدح وفيه اللبن وانتظر استيقاظهما وكره أن يوقظهما حتى طلع الفجر وأولاده الصغار يبكون عند قدميه من الجوع فكره أن يقدمهم على أبويه.

والثاني تعفف عن الزنا وتركه خوفا من الله وكان قادرا عليه فذكرته وخوفته بالله فخاف, فقام عنها وهو في موقف لا يستطيع أحد أن يملك نفسه في مثل هذا الموقف ,إلا من عصمه الله بوازعه الإيماني وخوفه من الله.

والثالث حفظ الأمانة وأدى الحقوق إلى أهلها بل أوفى الأ جيرحقه وزيادة وذلك حينما نماه له فكثرت منه الأموال من باب الإحسان وحب الخير للآخرين.

فنستفيد من هذا الحديث أن الأعمال الصالحة يفرج الله بها الكربات عند المصائب والملمات في الدنيا والآخرة وفيه فضل ا لإخلاص وأن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم, وتفريج الله عنهم تلك الكربة دليل على صدقهم وإخلا صهم وأن الله قد قبل منهم تلك الأعمال ففرج الله عنهم في الدنيا ويثيبهم عليها في الآخرة ,ويؤخذ هذا من قولهم:(اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه) فتنفرج الصخرة حتى خرجوا ولولم تكن هذه الأعمال خالصة

ولم يكونوا صادقين مع الله ما قبلها ولا فرج عنهم.

ولم تنفرج الصخرة جملة واحدة في أول الأمر بدعوة أحدهم حتى دعوا جميعا,فكلما دعا واحد منهم فرجت قليلا حتى خرجوا يمشون,وذلك ليريهم الله جميعا فضل أعمالهم وإخلا صهم, ويجعلها كرامة لهم جميعا, ويعرفهم أن الله قد قبل منهم جميعا والله أعلم.

قال ابن عثيمين رحمه الله: فيه دليل أن الإخلاص عليه مدار كبير في قبول الأعمال فتقبل الله منهم هذه الوسيلة فانفرجت الصخرة .. ولو أراد الله أن يفرجها لأول مرة لفعل ولكن أراد أن يبقيها حتى يتم لكل واحد منهم ما أراد أن يتوسل به من صالح الأعمال. اهـ

والآن ليسأل كل واحد منا نفسه هل له عمل صالح خالص لوجه الله يستطيع أن يتوسل به إلى الله بأن يفرج عنه هما أوضيقا أو كربة من كرب الدنيا؟

لاشك أن جواب الكثير منّا أننا لا نعلم ولا نجد عملا صالحا خ الصا نتوسل به إلى الله! فليفتش كل واحد مناعن قلبه, ولينظر في أعماله وليصدق مع ربه ينفعه الله بذلك في الدنيا والآخرة.

وفي هذا الحديث جواز التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة كما فعل أولئك الثلاثة النفر, واعلموا أن التوسل على قسمين توسل مشروع وتوسل ممنوع.

فأما التوسل المشروع فهو: التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة كما حصل لأصحاب الصخرة فتوسل الأول ببره لوالديه فانفرجت الصخرة قليلا إلا أنهم لا يستطيعون الخروج, وتوسل الثاني بعفته وخوفه من الله فانفرجت الصخرة قليلا فاتسعت الفرجة أكثر إلا أنهم لا يستطيعون الخروج, , ثم توسل الثالث بأمانته وإحسانه إلى أخيه فانفرجت الصخرة كاملة فخرجوا يمشون.

القسم الثاني من أقسام التوسل المشروع: أن يتوسل العبد إلى الله بأسمائه وصفاته كما قال تعالى: {وَلِلَّهِ الأ َسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا }[الأعراف:180] كأن يقول اللّهم بأسمائك الحسنى أعطني كذا أو يقول يا رحيم ارحمني ويا رزاق ارزقني, و التوسل بصفات الله كأن يقول اللّهم برحمتك ارحمني اللّهم بعزتك انصر الإسلام والمسلمين اللّهم بعلمك الغيب وفقني لكل خير كما قال تعالى عن موسى وأخيه عليهما السلام: {وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِين}[يونس:86] أي أنهما توسلا إلى الله برحمته أن ينجيهما.

القسم الثالث من التوسل المشروع :التوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح كأن تطلب من رجل صالح يدعو لك أو تقول الله م إنا نتوسل إليك بدعاء فلان .

ودليله ما رواه البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى

بِالعَبّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطّلِبِ، فَقَالَ: «اللّهُمّ إِنّا كُنّا نَتَوَسّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنّا نَتَوَسّلُ إِلَيْكَ بِعَمّ نَبِيّنَا فَاسْقِنَا» أي كانوا يتوسلون إلى الله بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم ولم يتوسلوا بذاته وهذا معروف من سنته وطريقة أصحابه رضوان الله عليهم أنهم كانوا يطلبون منه الدعاء فلما مات عليه الصلاة والسلام توسلوا بدعاء عمه العباس رضي الله عنه ,وتركوا التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد موته,ولم يتوسلوا بجاهه صلى الله عليه وسلم لا حيا ولا ميتا وإنما توسلوا بدعائه لله في حياته فقط .

فمن هناك يتبين لك ضلال الصوفية إذ يتوسلون بجاه النبي صلى الله عليه وسلم وهذا من البدع وقد يكون شركا أصغر وبعضهم يدعونه من دون الله وهذا شرك أكبر مخرج من الملة و العياذ بالله.

ومن فوائد الحديث عظيم قدرة الله وسعة علمه وشمول إحاطته بكل شيء حيث أزاح عنهم تلك الصخرة وسمع نداءهم وعلم حالهم في ذلك المكان المظلم وفي الجبل وفي وقت المطر فرحمهم وأنقذهم بلا مواصلة بأحد ولا اتصالات ولا رافعات ولا إغاثات, إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير يقول للشيء كن فيكون فما أقربه من عباده وما أرحمه بهم سمع أصواتهم من فوق سبع سماوات واطلع على سرائرهم و إخلاصهم ففرج كربتهم قالت عائشة رضي الله عنها: سبحان الذي وسع سمعه الأصوات والله لقد جاءت المجادلة تشتكي زوجها

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا في جنب البيت وإنه ليخفى علي بعض كلامها فأنزل الله: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}[المجادلة:1] رواه البخاري تعليقا

فأولئك ر فع الله عنهم الصخرة وأزاحها كيف لا والسماوات والأ رض في قبضته {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأ رْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا}[فاطر:41].

ويستفاد من هذا الحديث حقيقة الكرامة وهي أمر خارق للعادة يجريه الله على من شاء من خلقه ولا تكون إلا لعباده الصالحين وأوليائه المتقين ولا تكون للعصاة الفاسدين وتجري الكرامة على أيديهم بدون تدخل منهم وإنما تحصل إكراما من الله لهم وعبرة لغيرهم كما حصل لكثير من الصحابة من الكرامات وكما يحصل لمن كتب الله له الشهادة من أن الأرض لا تأكل أجسادهم كما حصل لعبد الله بن حرام والد جابر بن عبد الله رضي الله عنهما حينما أخرج أباه من القبر بعد ستة أشهر فوجدوه سليما لم تأكل الأرض جسده وأمثاله كثير قديما وحديثا كما حصل لسبعين رجلا من طلاب العلم الذين قتلوا في دماج ظلما, فأخرجوا من المقبرة لحاجة وضرورة ,أخرجوهم خوفا عليهم من السيول بعد سنة ونصف فوجدوهم كأنهم قبروا في تلك اللحظة والدماء تثعب من أجساد بعضهم ولم تأكل الأرض من أجسادهم شيئا وكأنهم نائمون والكرامات لأ

أولياء الله كثير.

أما ما يفعله بعض الفسقة والمبتدعة من الكرامات المصطنعة,إذ يحدثون أشياء بأيديهم ويقولون هذه كرامات كما يفعله بعض المتصوفة وغيرهم فهذه كرامات شيطانية ليست كرامات رحمانية,وإذا عرضت أعمالهم على الكتاب والسنة رأيتها تخالف ذلك,فهذه علامة أنها ليست كرامات رحمانية .

الشاهد من هذا أن الله أكرم أولئك الثلاثة النفر بتلك الكرامة لصلاحهم وإخلاصهم ولا تكون الكرامات للفساق أبدا,وإنما تكون للصالحين, وأعظم كرامة دوام الاستقامة كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

ونستفيد من هذه القصة فضيلة الدعاء وأن الدعاء لا يخيب صاحبه فإن استجاب الله الدعاء عاجلا كحال أصحاب الصخرة وإلا ادخرها له في الآخرة أو صرف عنه من السوء بمثلها, فلا تكل من الدعاء ولا تمل ولا تيأس فربنا كريم رحيم قال تعالى: {أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ }[النمل:62] وقال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}[البقرة:186] فالله سبحانه أقرب إلى عبده من وريده الذي في عنقه, لكن الله أمر عبده بالاستجابة له ليجيب دعاءه فإن الاستجابة له من أسباب إجابة الدعاء والتعرف إلى الله والرجوع إليه في أوقات الرخاء والأمن من أسباب تفريج

الكربات في وقت الشدة, فقد روى الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة".

قال الشيخ عبد المحسن العباد: يعني إذا عمل الإنسان عملا خ الصا في حال رخائه فإن الله يفرج عنه في حال شدته.

وقال ابن عثيمين رحمه الله: تعرف على الله بالرخاء أي بـ الطاعات يعرفك في الشدة أي يفرجها عنك. اهـ

وفي هذا الحديث أن من صدق الله صدقه فإذا كان العبد صادقا مع ربه أحبه وقربه إليه ووفقه وفرج عنه ودفع عنه المصائب والشرور كما روى النسائي عن شداد بن الهاد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن تصدق الله يصدقك". وفي هذا الحديث قالوا: (والله يا هؤلاء ما ينجيكم إ لا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه)

وفي هذا الحديث فضيلة بر الوالدين وأنها من أعظم القربات التي يفرج الله بها الكربات ,لا سيما وأن دعوة الوالدين مستجابة, كما فرج الله عن هؤلاء الثلاثة النفر لأن أحدهم كان بارا بوالديه ,وقد كان أويس القرني سيد التابعين مستجاب الدعوة ومن أسباب ذلك أنه كان بارًا بأمه ,وفي صحيح مسلم عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ، وَلَهُ وَالِدَةٌ وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَمُرُوهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ

لَكُمْ». وفي رواية أن عمر رضي الله عنه قَالَ لأويس. سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ « يَأْتِى عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمّ مِنْ قَرَنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلا ّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأ َبَرّهُ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ ». فَاسْتَغْفِرْ لِى. فَاسْتَغْفَرَ لَهُ. فعمر رضي الله عنه طلب من أويس القرني أن يستغفر له وهو أفضل منه وهذا معلوم أن الصحابي أفضل من التابعي,وذلك لأن أويسًا كان مستجاب الدعوة.

فإذا دعا الوالدان للولد استجاب الله لهما, فقد روى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيّ - صلّى الله عليه وسلم - قال: "ثلاثُ دَعَواتٍ مُستجاباتٌ لا شَكّ فيهنّ: دعوةُ الوالدِ، ودعوةُ المسافر، ودعوةُ المظلوم"

وفي هذا الحديث تقديم نفقة الوالدين إذا كانا محتاجين على نفقة الأهل والأولاد دون التقصير في حق الأهل والأولاد, فقد أمر الله سبحانه بإيتاء كل ذي حق حقه لكن بعض الناس قد ضيع حق والديه وهما محتاجان له وربما قدم أهله وأولاده عليهما وربما عقهما إرضاء لأهله وهذا منكر عظيم فقد روى البخاري ومسلم عن أبي بكرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النّبِيُّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: «أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟» ثَلا ثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ - وَجَلَسَ وَكَانَ مُتّكِئًا فَقَالَ - أَلا وَقَوْلُ الزّورِ»، قَالَ:

فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ.

فالنفقة واجبة على الوالدين قال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ}[البقرة:215]

قال المفسر السعدي رحمه الله: أي: مال قليل أو كثير، فأولى الناس به وأحقهم بالتقديم، أعظمهم حقا عليك، وهم الوالدان الواجب برهما، والمحرم عقوقهما، ومن أعظم برهما، النفقة عليهما، ومن أعظم العقوق، ترك الإنفاق عليهما، ولهذا كانت النفقة عليهما واجبة، على الولد الموسر. اهـ

الخطبة الثانية:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه .

أما بعد:

فقد عرفنا أهم الفوائد والعبر التي في هذا الحديث العظيم من قصة الثلاثة النفر, ومن ذلك أن العفة والخوف من الله عمل ص الح يفرج الله بهما الكربات في الدنيا والآخرة, فأما في الدنيا فقد فرج الله على أولئك النفر لعفة أحدهم وخوفه من الله وإن كان قد طلب الزنا ابتداء لكنه قد عفّ بعد أن خُوِّف بالله, تعالى فخاف وذكّر فتذكر كما قال تعالى:" إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ" [الأعراف : 201]أي :إذا همّ أحدهم بالذنب تذكرالله فيترك المعصية كما ذكر بعض المفسرين.

وأما في الآخرة فإن الله يظل العفيف في ظل عرشة لما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِى ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلا ظِلُّهُ الإِمَامُ الْعَادِلُ وَشَابٌ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِى الْمَسَاجِدِ وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِى اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّى أَخَافُ اللهَ. وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ »الشاهد" وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّى أَخَافُ اللهَ".

فلا يحصل على هذه الفضيلة ولا يبلغ هذه المنزلة إلا من ملك

نفسه وتغلب على شهوته وغلب خوفه من الله على هوى نفسه ,فهذا علامة على قوة الإيمان ,أما الذي لا يستطيع أن يملك نفسه فهو ضعيف الإيمان بل وأردى من ذلك أن من الناس من لا يستطيع أن يملك نفسه أو يجاهدها أمام صورفي أوراق وأمام الشاشات والمسلسلات والعياذ بالله, فالواجب على العبد أن يغض بصره ويعف نفسه ويبتعد عن الذرائع المفضية على الفواحش.

ونستفيد من هذا الحديث أن العبد إذا أصابته فاقه أو ملمة أو حاجة لجأ إلى الله ولا يلجأ إلى مخلوق مثله فربما منّ عليه أعطاه أو منعه, كما حصل من هذه المرأة التي أنزلت حاجتها بابن عمها ولم تنزلها بالله وتسأله من فضله فحصل أن استجراها الشيطان إلى الموافقة لفعل الفاحشة لولا أن الله عصمها لعلمه بعفتها وعدم مطاوعته للزنا من أول أمرها وإنما ألجأتها الحاجة, يظهر هذا من الحديث أنها ردت طلبه في بادئ الأمر والله أعلم.

الشاهد أن العبد ينزل حاجته بالله تعالى فقد روى أبو داود عن ابن مسعود، قال: قال رسولُ الله - صلّى الله عليه وسلم -: "مَنْ أصابته فَاقَةٌ فأنزلها بالناس، لم تُسَدّ فاقتُه، ومن أنزلها بالله أوشَك الله له بالغنى: إمّا بموت عاجل، أو غِنًى عاجل" ومعنى "إما بموت عاجل" قال بعض الشراح من أهل العلم:أي :يموت أحد أقاربه فيرثه.

وفيه أنه ينبغي للعبد أن يتكسب ويتخذ له حرفة من أجل ألا يسأل الناس أو يرتكب المخالفات المحرمة أو يضطر إلى المعصية كما عملت هذه المرأة ألجأتها الحاجة إلى مطاوعة ابن عمها على الزنا مؤخرا.

فالتكسب مطلب شرعي إذا كان من أسبابه المباحة قال تعالى: { فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُور}[المُلك:15] فقد كان نبي الله داود عليه السلام يأكل من عمل يده وكان زكريا عليه السلام نجارا, وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إني لأكره أن أرى أحدكم سبهللا لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة.

فالموفق هو الذي يجمع بين عمل الدنيا وعمل الآخرة لكن لا يشغله عمل الدنيا عن عمل الآخرة قال تعالى: { وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ }[القصص:77]

ومن فوائد الحديث فضل الأمانة وحب الخير للآخرين وذلك أن الله فرج عن الثلاثة بأمانة أحدهم وأن الأمانة وحفظها من علامات الإيمان بينما الخيانة من علامات النفاق فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ " فهذا الرجل حفظ الأمانة وتصرف فيها فنماها لأنها لا تزال في يده لم تنتقل إلى ملك صاحبها وإلا فلا يجوز التصرف بالأمانة إلا بإذن صاحبها أو فيما

يصلحها.

ومن فوائد هذا الحديث ونختم بها وجوب تسليم أجرة الأجير فورا بعد انتهائه من عمله ولا يجوز مماطلة الأجير في أجرته للوعيد المترتب على ذلك فقد روى البيهقي عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "أَعْطُوا الأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ" فيه كناية عن المسارعة إلى دفع أجرته فمن الناس من يتحايل على الأجراء فيظلمهم أو يهضمهم في حقهم لقدرته عليهم ونسي قدرة الله عليه ولم يعلم أن خصمه يوم القيامة هو الله سبحانه وتعالى فقد روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " قَالَ اللهُ: ثَلاَثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعطه أَجْرَهُ "

فاحذر يا مسلم من حقوق المخلوقين فإنها مبنية على المُشاحّة لا تسقط بالتوبة حتى ترد الحقوق إلى أهلها أما حق الله فإنه يسقط بالتوبة ولا يعبأ به.

فأدِّ الحقوق إلى أهلها يا عبد الله قبل أن تؤديها يوم القيامة من حسناتك, وكن وفيا فإن خير الناس أحسنهم وفاءا وأحسنهم أداء كما حصل من هذا الرجل الذي أعطى الأجير أموا لا كثيرة من الإبل والبقر والغنم والرقيق فوق ما يستحق وكان

عليه أن يعطيه أجرته التي يستحقها ولا يجب عليه الزيادة ولا التنمية ولكن هذا من فعل الخير وحب الخير للآخرين,فلا بأس من الزيادة عند القضاء فإن هذا من الإحسان, فقدروى ابن ماجه عَنْ أَبِي رَافِعٍ ،رضي الله عنه, أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وسَلّمَ اسْتَسْلَفَ مِنْ رَجُلٍ بَكْرًا ، وَقَالَ : إذَا جَاءَتْ إبِلُ الصّدَقَةِ قَضَيْنَاكَ ، فَلَمّا قَدِمَتْ ، قَالَ : يَا أَبَا رَافِعٍ اقْضِ هَذَا الرّجُلَ بَكْرَهُ ، فَلَمْ أَجِدْ إلا ّ رَبَاعِيًا فَصَاعِدًا ، فَأَخْبَرْتُ النّبِيّ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وسَلّمَ ، فَقَالَ : "أَعْطِهِ ، فَإِنّ خَيْرَ النّاسِ أَحْسَنُهُمْ قَضَاءً".

اللّهم ارزقنا الإخلاص في القول والعمل

اللّهم أعنا على فعل الصالحات وترك الذنوب والسيئات

اللّهم إنا نسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين

اللّهم جنبنا المصائب والفتن ماظهر منها وما بطن.

اللّهم وفقنا لما تحبه وترضاه

والحمد لله رب العالمين